معضلة الشرور

تقر الأديان الإبراهيمية لله بأنه ذو قدرة مطلقة، وعلم مطلق، وبأنه خير محض. هذا من جهة ومن جهة أخرى يصعب إنكار وجود ما يُسمّى بالشرور في العالم. وعلى هذا الأساس طرح تساؤل هو بمثابة التحدّي لهذه الأديان، وهو: هل يمكن الإيمان بهذه القضايا الأربع في وقت واحد؟

١ـ الشر موجود، ٢ـ الله مطلق القدرة ـ٣ ـ الله عالم وعلمه مطلق، ٤ـ الله مريد للخير لعباده»؟

تقع في كلّ عام حوادث وسوانح طبيعية كالزلازل والسيول، تهدر مئات الأرواح، وتشرّد الكثيرين وتتركهم دون مأوى. ومنذ أن وجد الإنسان على سطح الأرض، شهد ولادة أطفال كثيرين مشوهي الخلقة، كما إنّ المرض والجوع يعصفان بملايين الأشخاص على سطح الكرة الأرضية. وقد شهد تاريخ البشريّة على أنواع من الظلم الذي يمارسه الأقوياء على من هم أقل منهم قوّة، وقد بقر الظالمون مئات البطون وسملوا العيون للوصول إلى مآربهم الدنيئة، ولم يعفوا عن الرؤوس. أليس الله بقادر على خلق عالم خال من هذه الشرور؟ أليس الله بمطلع على هذه المصائب، وألا يعرف السبيل للحيلولة دون تحققها؟ أليس الله مريدا للخير لمخلوقاته؟ وعلى حد قول ديفيد هيوم (١٧١١ـ ١٧٧٦م) هذه الأسئلة وشبهها طرحت على الأقل من زمان أبيقور (٣٤١ـ٢٧٠ق.م.) وما زالت تطرح دون أن يجد الإنسان لها جوابًا.

ولقد سعى العلماء المسلمون إلى الدفاع عن العدل الإلهي بعد إثبات وجود الله سبحانه، فطرحوا مشكلة الشرّ، وقدموا أجوبة رأوا أنها تصلح لحل المشكلة وردّ الشبهات التي تطرح في هذا المجال. ويُستفاد من عدد من آيات القرآن الكريم أنّ الأصل في الخلق هو الخير، وأما الشر فهو من نتائج سوء اختيار الإنسان. وبين اللاهوتيين المسيحيين يمكن الإشارة إلى إيريناوس (Irenaeus) (140-202) بوصفه أوّل من حاول تبرير وجود الشرّ مع الاعتراف للإنسان باختياره. كما إن أحد أسفار العهد القديم مخصص لمعالجة هذه المسألة عنيت بذلك سفر أيوب، وما فيه من تبرير للمصائب التي حلت بالنبي أيوب (ع).

ولم تعد مشكلة الشر تحدّيا للتصوّر الديني لصفات الله فحسب، بل صارت الركن الوثيق الذي يلجأ إليه الإلحاد وينطلق منه للتشكيك في أصل وجود الله حتى إن بعض الملحدين يرون أنّ بين وجود الشر وبين «وجود الله» بحسب تصويره في الأديان الإبراهيمية تناقضا منطقيا، يقول ج. ل. مكي في مقالة شهيرة له بعنوان: «الشر والقدرة المطلقة» محاولا بيان كيف أنّ الشر يمثل مشكلة منطقية:

لبيان التناقض المنطقي بين قضيتي: الله موجود» و«الشر موجود) نحتاج إلى بعض المقدّمات الإلحاقية في ما يتعلق بالمفاهيم الآتية: الخير» و«الشر» و «القادر المطلق». وهذه المقدمات هي:

أ- الخير ضد الشر، بحيث إنّ على الموجود المريد للخير، أن يحول دون وجود الشر إلى أقصى حد ممكن.

ب لا حد لما يقدر عليه القادر المطلق.

ونتيجة هذه المقدمات هي أنّ الموجود المريد للخير والقادر المطلق، عليه أن يستأصل وجود الشرّ بالكامل. وعليه، فإنّ بين القضيتين المذكورتين أعلاه

تناقضا، ولا يمكن التصديق في وقت واحد:

بـ«الموجود المريد للخير والقادر المطلق موجود»، وأن >الشر موجود<

انكار وجود الشر

لقد حاول أكثر المؤمنين بالأديان الإلهية تبرير وجود الشر، دون إنكار القضايا الأربع المذكورة أعلاه، ولكن لم يعدم كلّ من آمن بنظرية من ينكر عليه نظريته.

ترى بعض الأديان الإبراهيمية وغير الإبراهيمية أن الشر لا وجود حقيقي له وما هو إلا نتيجة توهم من الإنسان ويحاول بعض لأجل إنكار وجود الشر، إظهار ضعف قدرات الإنسان الإدراكية ويشككون أحيانا في صحة أحكامه القيمية على الأشياء بأنها شرّ ويؤكدون أن «طرائق الله وطرقه» خير من طرائقنا وطرقنا».